الهداية من الضلالة
في معرفة الوقت والقبلة من غير آلة

للقليوبي

شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة

(- ١٠٦٩ هـ)

تحقيق

الدكتور / عبد الستار أبو غدة

نشر

دار الأقصى

□ حقوق الطبع محفوظة □

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م □

نشـــر

دار الأقصـــى

٣٧ ش بهاء الدين بالدراسة

هاتف ٩٢٩١٥٣ - القاهرة

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمٰن الرحيم

* مقدمة التحقيق *

إن العلوم الفلكية ذات علاقة مباشرة بحياة الأفراد والمجتمعات ، في النطاق الديني والدنيوي معاً ، والاهتمام بها لدى أمتنا العربية الإسلامية مخضرم ، فقد كان واحداً من تلك العلوم القليلة التي اشتغل بها العرب في جاهليتهم ، وكان شأنه كذلك في صدر الإسلام والعهود الزاهرة بعده ، حيث زخرت بالنوابغ من علماء الفلك والجم من المعطيات والتنظير والتوصيف والتسميات التي لا تزال لها الصفة العالمية إلى الآن .

ومن شدة ارتباط علم الفلك بالأغراض الدينية تفرع عنه (علم الميقات) وهو ما تعرف به أزمنة الأيام والليالي ومواقيت الصلاة والصيام والحج وغيرها ، فضلاً عن مسائل الجهات وتحديد القبلة . ومصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ .

وفي هذه الآيات الكريمة وغيرها إشارة إلى المنافع الدينية والدنيوية لاستثمار ما في الكون من أسرار ونظم محكمة .

إن علم الفلك والمعارف المقتبسة منه قد وظفت بصورة فعالة في حياة المسلمين ، بعدما رأوا فيها ما يعين على التفكر في ملكوت السماوات والأرض وما اشتملت عليه من عجائب الفطرة ودقائق الحكمة وما يستتبعه ذلك من الإذعان لعظمة مبدعهما . كما وجدوا فيها الأساس لتحرير أوقات الصلوات وأزمنة العبادات ومعرفة الجهات ، فضلاً عما يجنونه من منافع أخرى دنيوية كالاهتداء في ظلمات البر والبحر وتوسيع البصيرة وضبط الأزمان للزراعة ، والمعرفة بالأجواء والأنواء لتوفير متطلبات التكيف مع البيئة في كل مكان وزمان .. ولهذا كان من المقرر في الشريعة أن العلم بالقواعد والطرق الموصلة لأوقات الصلوات المفروضة واجب على الكفاية ، وهذا حسب النظرة الموسعة لمن أجازوا التقليد في هذا المجال لمن يوثق بعلمه ومعرفته وعدالته .

ومما هو جدير بالذكر – ونحن في مجال الكلام عن شأن العلوم الفلكية وموقعها في الحياة – أن المسلمين عندما ترجموا العلوم الفلكية حرصوا على تجريدها مما علق بها من أوهام وخرافات دخلت في مقولاتها باسم (التنجيم) الذي يزعم أصحابه معرفتهم للأمور الغيبية ، استنباطاً من طبائع وارتباطات وتخمينات ومن مراقبة سير الكواكب وطلوعها وملاحظة المواليد والبروج . وقد أبطل الإسلام ذلك كله وقرر أن علم الغيب مما استأثر الله تعالى به ومع هذا كان في التاريخ بعض الأمثلة على بقايا ذلك التخبط حتى أراد بعض

المفتونين به أن يثنوا همة المعتصم عن فتح عمورية في الحادثة المعروفة ، ولا تزال هذه الترهات سارية حتى أيامنا هذه ، ومقبولة لدى البعض لأنها من الأمور الرائجة لدى الغربيين وتوضع لها الكتب الخاصة بها فضلاً عن اهتمام الجرائد والمجلات بجداولها . وفي التحذير من ذلك قيل :

لا تركنن إلى مقال منجم وكل الأمور إلى الاله وسلم
وأعلم بأنك إن نسبت لكوكبٍ تدبير حادثة فلست بمسلم

وغني عن البيان أن هذه المزاعم هي غير التنبؤ عن الأحوال المناخية والظواهر الكونية استناداً لدلائل محسوسة وجداول حسابية وعادات زمنية ..

لقد بنيت على رؤية الهلال وضبط الشهور القمرية كثير من الأحكام الدينية كالصوم والحج والعدة والنذور والأحكام الدنيوية كالالتزامات والمداينات ومواعيد الحقوق والوقائع كمدد الحمل والرضاع ، وقد صح أن رسول الله ﷺ كان يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان ، ومفاد هذا – كما قال شراح الحديث – الاجتهاد في الوصول إلى العلم بهلال شعبان خشية عدم العلم برؤيته مما يؤدي إلى الشك في هلال رمضان ..

وإن من المسائل التي تشغل حيزاً من اهتمام المسلمين وتسبب لهم بعض المظاهر غير المرضية تلك البلبلة التي تحصل في إثبات رمضان وغيره من المواسم الدينية .. وتنشأ عن الجدل في مستند إثبات الأهلة في جملة عوامل أخرى غير منضبطة ، وإن هذا التباين يبدو نابياً بعدما حققه علم الفلك من معطيات دقيقة موثوقة وما

أصبح في وسائله من تقنيات . وهذا كله يشهد بموقع الحسابات الفلكية في هذا المقام إن لم يكن في الإثبات ففي النفي برد الشهادة حين استحالة الرؤية بالحساب الفلكي . وهذا يساعد على تحقيق المواقف السوية التي نفهم بها المباديء الفقهية فهماً جيداً صحيحاً تراعى فيه المتغيرات ، وتستحضر معه مقاصد التشريع وحكمته .

ويستتبع هذا الضبط الأمور الدينية تأكيد صفة الوحدة ، فإن صفة الوحدة هي أهم ما وصف الله به هذه الأمة من صفات تميزها وتعتبر سمة لها ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ وقد تختفي بعض مظاهر الوحدة السياسية حيناً بمؤثرات خارجية لإضعاف قوة هذه الأمة ، ولكن وحدتها الفكرية والتشريعية والاجتماعية باقية ما بقيت متمسكة بكتاب الله مهتدية بسنة رسوله ﷺ ، وبقدر الالتزام بمنهجهما تظل الأمة آمنة من التفكك والتنابذ والوهن ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله** ﴾ . وإذا أردنا العزة والمنعة فهي في الإبقاء على وحدة الأصول والمنهج واستثمار ذلك في وحدة الصف النابعة من وحدة الهدف والجذور .

وفيما يلي تعريف بمؤلف هذا الكتاب (الشهاب القليوبي) وبكتابه (الهداية من الضلالة) ومخطوطاته ، والله ولي التوفيق :

* * *

* أولاً – المؤلف(*) *

شهاب الدين القليوبي

* اسمه ونسبه وولادته :

هو أحمد بن أحمد بن سلامة .

لقبه : شهاب الدين .

وكنيته : أبو العباس .

وشهرته : القليوبي ، وهي نسبة إلى (قليوب) بالمنطقة الشرقية من مصر .

ولا يعرف تاريخ ولادته ، كما لا يعرف مقدار عمره حتى يُحدد مولده من تاريخ وفاته التي كانت أواخر شوال عام ١٠٦٩ هـ . الموافق ١٦٥٩ م . لكنه لم يذكر أنه مات في شبابه

(*) خلاصة الأثر للمحبي ١٧٥/١ معجم الأطباء لأحمد عيسى ١٠١ – ١٠٢ .
الأعلام للزركلي ٩٢/١ معجم المؤلفين لكحالة ١٤٨/١ .
كشف الظنون ١٧٩٧ وذيله ٧٢٣/٢ هدية العارفين ١٦١/١ .
فهرس الأزهرية ٣٨٤/١ فهرس التيمورية ١٨٩/٢ فهرس دار الكتب المصرية ١٠١/٢ .
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٦٤/٢ وملحقه ٤٩٢/٢ .
الموسوعة الإسلامية لبروكلمان ٧٤٦/٢ فهرس المخطوطات الألمانية لآلوورد ١٧٨/٥ .

فلو قدر أنه عاش ما بين الستين إلى السبعين كما هو معظم أعمار هذه الأمة لكانت ولادته في أوائل القرن الحادي عشر ، أو أواخر القرن العاشر .

*** اشتغاله بالعلم ومكانته :**

تميز القليوبي بالمشاركة في العلوم ، فبالرغم من أنه غلبت عليه الشهرة بالفقه فقد كانت له عناية فائقة بعدة علوم أخرى منها الفلك والطب والتاريخ كما تدل على ذلك مؤلفاته .

وقد وصفه المحبي بقوله : « أحد رؤساء العلماء ، المجمع على نباهته وعلو شأنه ، كان كثير الفائدة ، نبيه القدر » .

*** شيوخه :**

أخذ عن شمس الدين الرملي الفقه والحديث ، ولازمه ثلاث سنين حينما كان منقطعاً في بيته وعن نور الدين الزيادي ، ولازمه أيضاً . وعن سالم الشبشيري ، وعلي الحلبي ، والسبكي ، وغيرهم .

*** تلاميذه :**

تلاميذه كُثْر ، منهم : منصور الطوخي ، وإبراهيم البرماوي ، وشعبان الفيومي ، وغيرهم من أكابر الشيوخ ، كما قال المحبي .

*** مؤلفاته :**

١ – الهداية من الضلالة (وهو هذا) .
٢ – حاشية على شرح الجلال المحلي على المنهاج

للنووي . طبعت مع حاشية الشيخ عميرة البرلسي على الشرح نفسه ، وهما مع الشرح في أربعة أجزاء . وهذه الحاشية من الكتب الكثيرة التداول في مذهب الشافعية ، وقد جمعت مع حاشية البرلسي خلاصة ما قبلهما من الحواشي . طبعت مراراً ، ووضع لشرح المنهاج بحاشيتيه فهرس تحليلي ضمن الأعمال المساعدة للموسوعة الفقهية بالكويت .

٣ – حاشية على شرح ابن قاسم الغزي لمتن الإقناع لأبي شجاع الأصفهاني . وقد استأثر متن الإقناع باهتمام من يؤلف للناشئة في فقه الشافعية ، والحاشية تكملة لما في شرح ابن قاسم الذي هو أيضاً أصغر شروح الإقناع حاشية على شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري .

٤ – البدور المنورة في معرفة الأحاديث المشتهرة (؟) .

٥ – تحفة الراغب في سيرة جماعة من أهل البيت الأطايب مطبوع كما قال الزركلي .

٦ – النبذة اللطيفة في بيان مقاصد الحجاز ومعالمه الشريفة قال الزركلي : منه نسخة مخطوطة في خزانة الرباط (كتاني ١٤١١) .

٧ – رسالة في فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس وشيء من تاريخها (منه مخطوطة بدار الكتب في ٧٠ ورقة) .

وقال الزركلي عن هذا الكتاب والذي قبله : لعلهما كتاب واحد . ويؤيد ذلك أن البغدادي في هدية العارفين لم يورده في عداد مؤلفات القليوبي التي بلغت عنده (١٤) مؤلفاً .

٨ – التذكرة في الطب . وهو مطبوع بهامش مختصر تذكرة السويدي للشعراني طبع في ٩٦ صفحة بالمطبعة الخيرية ١٣٠٤هـ وهو في مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة . وله طبعات أخرى .

٩ – كتاب في تعبير المنامات .

١٠ – تعليق على الجامع الصغير للسيوطي – في أوراق لطيفة – لبيان الحسن والضعيف والصحيح مما جاء فيه .

١١ – « حكايات وغرائب وعجائب ولطائف ونوادر وفوائد ونفائس » وهذا عنوان كتاب مطبوع في كلكتا بمطبعة ليس عام ١٢٧٢ هـ = ١٨٥٦ م . بتصحيح وليم ناسو ليس ، والمولوي كبير الدين أحمد . منه نسخة بالمكتبة الوطنية ببارس . وطبع أيضاً في بولاق ١٢٨٧ وغيرها . في أوله : « وبعد ، فهذه حكايات غريبة جمعها شيخنا وأستاذنا الشيخ الإمام ... أحمد شهاب الدين القليوبي ... » وفي آخره : « هذا آخر ما وصل إلينا من كتاب الحكايات للشيخ العلامة أحمد شهاب الدين القليوبي » والحكايات فيه مسلسلة بأرقام لغاية ٢١٧ ثم الفوائد بدون ترقيم .

وقد أورد في الحكاية (٢٠٢) أسماء من دخل مصر من الصحابة (بترتيب ألفبائي) وجاء في الحكاية (٢١٠) « قيل : عمل إنسان للسلطان المؤيد كوزاً ، كل من شرب وفرغ يسمع صوتاً يقول للشارب : صحة وعافية ! » .

ولعل هذا الكتاب هو الذي جاء اسمه عند البغدادي « فوائد

لطيفة وفرائد نفيسة مقبولة ، في العلوم المرغوبة والفنون الجميلة الجليلة » . قال عنه : جمع فيه مسائل من ثلاثة وثلاثين فناً . (أوله : أحمد الله الذي هو الكريم الوهاب) .

– الجامع في الطب . أورده البغدادي مستقلاً ، ولعله هو « التذكرة » .

– الفوائد الطبية الموافقة لطب خير البرية . لعله هو التذكرة وأطلق عليه بعضهم هذا الاسم .

– المصابيح السنية في طب خير البرية ولعل هذا اسم للتذكرة أيضاً لأن أولها : – كما قال البغدادي (الحمد لله الذي جعل نوع الإنسان أكمل الأنواع) وهذه هي بداية كتاب التذكرة .

– مجموع المحبين في الفروع .

– كتاب المعراج (؟) .

– مناسك الحج .

– حاشية على شرح الأجرومية للأزهري في النحو .

– حاشية على شرح الأزهرية .

– حاشية على إيساغوجي في المنطق .

– حاشية على شرح التحرير لشيح الإسلام في الفقه .

وهذه الكتب الأخيرة أوردها البغدادي هكذا دون بيانات أخرى عنها .

*** وفاته :**

سبق أن وفاته كانت أواخر شوال عام ألف وتسعة وستين للهجرة .

* ثانياً الكتاب *

(الهداية من الضلالة)

*** اسم الكتاب :**

لم يورد المؤلف اسم كتابه في المقدمة ، ويبدو أنه اكتفى بإثبات اسمه على غلافه (الورقة الأولى) وقد جاءت تسميته على هذا النحو في كل من المخطوطة التونسية ، والكويتية : « الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقبلة من غير آلة » .

لكن جاء اسم الكتاب في المخطوطة الأزهرية هكذا : « مقدمة في علم الوقت والقبلة تسمى البداية من الضلالة » ولعل هذا تصرف من الناسخ حيث أخذ الكلمات الأولى من موضوع الكتاب ثم أتبع ذلك بالاسم الذي سماه به مؤلفه دون أن يتمه ، مع أن البقية فيها ما هدف إليه المؤلف من حصول السجع في العنوان . والتسمية الكاملة مطابقة لما جاء عن هذا الكتاب في الكتب التي ترجمت للمؤلف وفي كشف الظنون والفهارس .

*** موضوع الكتاب :**

حدد القليوبي موضوع كتابه بقوله :

« وبعد ، فإن علم الوقت والقبلة من أهم المطالب ، لتوقف الصلاة وغيرها عليه في الغالب » .

وقد عُني المؤلف – مع موضوعي الوقت والقبلة – بأمور أخرى تسبق هذين الموضوعين أو تلحق بهما لفرض التعريف أو التمهيد أو بيان الوسائل ، فاشتمل كتابه على بيانات في علم الحساب ، والجغرافيا ، والتاريخ ، واللغة ، والفقه . ومنشأ هذا ما اتسم به القليوبي من المشاركة في عدة علوم ، كما أن علم الفلك بطبيعته يعتمد على علوم أخرى ، وبعضها أساسي له ، كالرياضيات وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) .

وقد وقع تطابق وتكامل بين ما أورده المؤلف في هذا الكتاب من بيانات فقهية وبين ما جاء في كتبه الفقهية في موضوع أوقات الصلوات ، واستقبال القبلة ، مع تفصيل أكثر هنا .

ولم يورد المؤلف اسم أي مرجع من الكتب التي استمد منها ، وهي عادة شائعة في عصره ، اعتماداً على أن ما فيها مقتبس من الكتب المشهورة في كل علم . ولذا يقول أكثر من مرة (وهذا عند أهل الفلك ..) مما يدل على استمداده من كتب مشهورة عديدة دون تسميتها ، استغناء بأن ما أورده هو مما اتفق عليه أهل ذلك العلم وتواردت عليه تصانيفهم .

أما الإحالة إلى كتاب (الهداية) والاستمداد منه فقد جاءت في بعض كتب الفقه المتأخرة عن عصر المؤلف ، ومنها كتاب منح الجليل شرح مختصر خليل ، للشيخ عليش (١٠٧/١) حتى إنه نسب

إليه طريقة خاصة جعلها نظيرة لطريقة الحطّاب والشيخ عبد الباقي الزرقاني وأطلق على الكتاب عبارة « رسالة القليوبي » .

* **القيمة العلمية لكتاب (الهداية) :**

لقد كثرت التآليف في علم الفلك ، وفي مسائل خاصة منه ولا سيما ما يتعلق بالأوقات . وكان طابع تلك المؤلفات علمياً بحتاً ، أما هذا الكتاب فقد مزج فيه مؤلفه مزجاً لطيفاً بين الفلك والفقه وغيره من العلم ، وأورد ذلك بعبارة سهلة تيسر فهم المعلومات الفلكية وتحفّها بما يوضحها ويقربها للباحث .

كما أن المؤلف عُني عناية شديدة بتحديد القبلة للمناطق المعروفة في عصره من أنحاء العالم الإسلامي ، وألمح إلى أنه تفرد بهذه الطريقة ، ويبدو أنه قصد التنويه بما أورده من تفصيل وتدقيق في طريقته أما أصلها فهو معروف قبله بقرون وقد بينت هذا في مكانه من الكتاب .

* * *

* ثالثاً – المخطوطة وتحقيقها *

بعد البحث والتحري الطويل وقفت على ثلاث مخطوطات جيدة لهذا الكتاب ، يمكن من خلالها إخراج نص صحيح أقرب إلى ما قصده المؤلف إن شاء الله .

وهذه المخطوطات ليست كل ما حفظته الخزائن لكن فيها من القرب لعهد المؤلف ، والاتقان في النسخ ، والدقة في الضبط ما يفي بالمراد .

*** وهذه المخطوطات الثلاث هي : –**

١ – مخطوطة المكتبة الأزهرية ، وهي في (٢٦) ورقة مسطرتها ١٣ سطراً ، ومقاس الصفحة ٢٠ × ١٥ سم وهي بقلم معتاد ، ومجدولة بالأحمر . وقد كتبت في ١٠ محرم عام ١٠٧٨ أي بعد وفاة المؤلف بتسع سنوات .

لكن هذه المخطوطة مع أقدميتها فيها سقط بعض كلمات أو جمل في أكثر من موضع . كما أن فيها بعض الزيادات اليسيرة . ورقمها [٦] ١٩٤٢ وهي في فهرس الأزهرية ٣٢٢/٦ وناسخها أبو السعود الرفاعي الدمشقي . وعلى بعض الصفحات خاتم وقفية بما نصّه « ملك هذا الكتاب الشريف محمد أحمد الحروتي وأوقفه لله

تعالى على طلبة العلم سنة ١٢٣٦ » ثم آية « فمن بدله ... » .

٢ – مخطوطة الأوقاف بالكويت رقم (خ ١٣٤) وهي الرسالة الثالثة من مجموع وأوراقها فيه من ٣٧ – ٥٢ مسطرة الصفحة ٢٣ سطراً ومقاسها ٢٢ × ١٦ سنتمتر وهي بخط النسخ والعناوين بالأحمر ، وهي تتسم بالوضوح والضبط ، قد آلت إلى الأوقاف من مقتنيات الشيخ عبد الله خلف الدحيان الذي عرف بالعناية بجمع نفائس المخطوطات والاشتغال الدقيق بالعلم والارتباطات العلمية بعلماء عصره . وقد كانت بينه وبين الشيخ عبد القادر بدران مراسلات علمية ألف فيها الشيخ بدران كتاباً سماه « العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية » طبع بتحقيقي في الكويت .

٣ – المخطوطة الزيتونية بتونس ، وهي تقع في ١٧ ورقة ضمن مجموع كله في علم الفلك ، وتحمل أوراقها فيه الأرقام من ٦٣/ب إلى ٨٠/أ ومسطرتها ٢٥ سطراً ومقاس الصفحة ٢٤ × ١٥ سنتمتر وقد تفضل بتزيدي بصورة عنها الأخ الأستاذ عبد الحفيظ منصور جزاه الله خيراً .

وقد آثرت أن أورد أجود ما في المخطوطات الثلاث بدلاً من اتخاذ أحدها أصلاً لما في كل منها من ميزة ، ونبهت على المغايرات المفيدة دون ما فيه نقص تفردت به إحداها أو اختلاف حرفي غير مؤثر في المعنى .

وعملي في هذا الكتاب شمل المألوف في تحقيق المخطوطات من عرض النص بالصورة الموضحة له مما لا داعي لتفصيله فهو مشهود

لمن يطلع عليه .

وقد ألحقت بالكتاب بيانات تتصل بموضوع تحديد القبلة في البلاد الإسلامية ، وهي نصوص تعزز ما اهتم المؤلف ببيانه مشيراً إلى تفرده بذلك تأصيلاً أو تفصيلاً . والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * *